الفصل الأول
(الفتن)

أولاً: تعريف الفتن:

• **الفتن**: جمع فتنة، تقول العرب فتنتُ الذهبَ والفضةَ في النار؛ أي أحرقتُهما فيها لتمييز الرَّديء من الجيِّد منهما.

فأصل الكلمة هو الإحراق بغرض التمييز والاختبار والامتحان لتخليص الشوائب، وتمييز الجيِّد من الرديء.

• **الإحراق**: قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾[الذاريات]، أي: يُحرَقون، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[البروج:١٠]، أي: أحرقوهم في الأخدود.

• **الامتحان والاختبار**: قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾[العنكبوت]: أي يُترَكون دون اختبار وتمحيص في أموالهم وأنفسهم ليتميَّز صادق الإيمان من غيره.

وقال تعالى في المنافقين: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾[التوبة: ١٢٦]، معناه: يُختَبرون بالدعاء إلى الجهاد فلا يَستجيبون، وقوله تعالى على لسان هاروتَ وماروتَ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة: ١٠٢]، أي: إنما نحن اختبار وابتلاء لكم.

• **الخلوص من الشوائب من خلال الابتلاء**: قال تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَفَتَنَّاكَ

﴿فُتُونًا﴾[طه:٤٠]، أي: ابتليناك بالشدائد والمِحَنِ، وأخلصناك لمقام الرسالة إخلاصًا.

◘ ومن معاني الفتنة المجازية:

١ـ الضلال والإثم والميل عن الحقِّ: قال تعالى: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ [الصافات] أي: لا تقدرون أن تُميلوا عن الحقِّ إلا من قدَّر الله سبحانه وتعالى له ذلك، وكان من أهل الجحيم، ويُقال عن الشيطان فتَّان؛ لأنه يَميل بالناس عن طريق الحقِّ بخداعه وغروره وتزيينه المعاصي.

والفاتِنُ: المُضِلُّ عن الحقِّ، قال تعالى عن لسان المنافقين: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۖ﴾ [التوبة: ٤٩]، اسمح لي بعدم الخروج معك لقتال الروم - بني الأصفر - حتى لا أضلَّ بسبب بناتهم فأقعَ في الإثم.

٢ـ الكفر: قال تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾[البقرة: ١٩١]، والمراد بها الكفر.

٣ـ الجنون والميل عن اعتدال العقل: ومنه قوله تعالى: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦﴾ [القلم]، أي: المجنون الذي خرج عن طَوْرِ الصواب.

٤ـ الإعجاب بالشيء أو الوَلَهُ به وما يَترَتَّبُ عليه من فجور: يُقال: افتُتِنَ الرجلُ بالمرأة إذا أُعجِب بها وتعلَّق بها تعلُّقًا عجيبًا، ويُقال: فُتِنَ إلى النساء: إذا أراد الفجور بهنَّ.

٥ـ القتل واختلاف الناس في الآراء: ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡ﴾[يونس: ٨٣] أي: على خوف من فرعون أن يقتلهم.

- يقول ابْنُ الأعرابي: «الفتنة: الاختبار، والفتنة: المحنة، والفتنة: المال،

والفتنة: الأولاد، والفتنة: الكفر، والفتنة: اختلاف الناس بالآراء»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أَصْلُ الْفِتْنَةِ الِاخْتِبَارُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ فِيمَا أَخْرَجَتْهُ الْمِحْنَةُ وَالِاخْتِبَارُ إِلَى الْمَكْرُوهِ، ثُمَّ أُطْلِقَتْ عَلَى كُلِّ مَكْرُوهٍ أَوْ آيِلٍ إِلَيْهِ كَالْكُفْرِ وَالْإِثْمِ وَالتَّحْرِيقِ وَالْفَضِيحَةِ وَالْفُجُور »(٢)، وغير ذلك.

• **وملخص الفتنة:**

فالفتنة تطلق على كل ما يَفتن الإنسان في دينه من مال، أو جاه أو سلطان، أو شبهة أو شهوة، أو تسلط الكافرين، أو فوضى تؤدي إلى عصبية، أو ما يَتَرَتَّبُ عليه ضلال وميل عن طريق الحقِّ واختلاف القلوب، وما ينتج عنه من القتل والتخريب، أو وقوعهم في الإثم أو الضلال، أو الخروج من دين الإسلام إلى الكفر.

• **تحذير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قرب الفتنة:**

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: **{سُبْحَانَ اللهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ}**(٣).

• الحديث فيه إشارة إلى قرب الفتن وكثرتها، وأيقظ زوجاتِه للصلاة في جوف الليل لتكون الصلاة نجاة لهن من هذه الفتن، وهذه إشارة إلى أن الصلاة في جوف الليل من العواصم من الفتن.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٣١٧ وما بعدها).
(٢) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٥).
(٣) أخرجه البخاري: ك: العلم، ب: العلم والعظة بالليل، ح (١١٥) .

كما قال ابن حجر: « فِي الْحَدِيثِ جَوَازُ قَوْلِ سُبْحَانَ الله عِنْدَ التَّعَجُّبِ، وَنَدْبِيَّةُ ذِكْرِ الله بَعْدَ الِاسْتِيقَاظِ، وَإِيقَاظُ الرَّجُلِ أَهْلَهُ بِاللَّيْلِ لِلْعِبَادَةِ لَا سِيَّمَا عِنْدَ آيَةٍ تَحْدُثُ، ... وَفِي الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ الْإِسْرَاعِ إِلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ خَشْيَةِ الشَّرِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ**﴾[البقرة:٤٥]، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَأَمَرَ مَنْ رَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ،.. وَفِيهِ التَّسْبِيحُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْأَشْيَاءِ الْمَهُولَةِ »(١).

وَعَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: **{ هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى، إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلاَلَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ القَطْرِ }**(٢).

• يُحذِّر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الفتن القريبة منهم، وشبَّه نزولَها بالمطر للدلالة على عموم هذه الفتن وانتشارها، وهذا ما وقع بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• وهذا الحديث من دلائل النبوة، فوقع كما أخبر، وكان لكل بيت نصيب منها، وإن قلَّ. فما حدث في موقعة الجمل وصفِّين والنهروان دليل على ذلك.

• وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ }**، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: **{ تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ }**، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: **{ تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ**

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١/ ٢٥٥).
(٢) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: آطام المدينة، ح (١٨٧٨).

الْقَبْرِ } قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: **{ تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ }** قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: **{ تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ }**. قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ (١).

• وفي الحديث درس عملي للاستجارة بالله من عظائم الأمور، ومن الفتن التي لا تكون ظاهرة للجميع؛ لأن هناك فتنًا باطنة قد يقع الإنسان فيها دون إدراك منه أو تمييز لها، وهذا يتفق مع كون الفتنة يتلَّبس فيها الحقُّ والباطلُ، والخيرُ والشرُّ، بل قد تدخل على قلب الإنسان من باب الخير .

• عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَيْمُ الله (٢)، لَقَدْ سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا }**(٣).

وقد اعتبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنوان السعادة للمرء تجنُّبَ الفتن، وعدم التعرُّض لها، وأن من أصابته فتنة فصبر وثبت على اعتصامه بالدِّين كان محل إعجاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكل أمر اشتبه على المسلم، ولم يَسْتَبِنْ فيه الحق من الباطل فهو من الفتن

---

(١) أخرجه مسلم: ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، ح (٢٨٦٧)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ايم الله: هو أحد ألفاظ القسم بالله، واهًا: من ألفاظ التعجب، كأنه قال: ما أحسن، وما أطيب من ابتلي فصبر على البلاء.

(٣) أخرجه أبو داود: ك: الفتن والملاحم، ب: النهي عن السعي في الفتنة، ح (٤٢٦٣)، والحديث حسن (انظر العدوي: الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم)، (٢٣٨).

الواجب اجتنابها، خاصة إذا ترتَّب على هذا الأمر فرقة أو اختلاف في القلوب، أو خوض في الدماء، أو إثارة للنفوس وتهييجها، كما هو واقع في أيامنا هذه، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

وما يصيب هذه الأمَّة من الفتن ما هو إلا عنوان من عناوين الرحمة بها بتعجيل عقوبة بعض الذنوب في الدنيا، وعدم الانجراف فيها، وتفضيلها على الآخرة.

ثانيًا: موطن الفتنة، ومنبع خروجها:

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: « يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أَسْأَلَكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ، وَأَرْكَبَكُمْ لِلْكَبِيرَةِ، سَمِعْتُ أَبِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا }** وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ **{ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ }** وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ »(١).

قَرْنَا الشَّيْطَانِ: مثنَّى قَرْن، وقد يُراد به حبائل الشيطان أو أعوان الشيطان الذين يرتكز أكثرهم في جهة الشرق عمومًا؛ فالمقصود بقرنَي الشيطان شِيعته أو جمعه من الكفار الذين يُغريهم بإضلال الناس (٢).

• وجِهة الشرق وعلى وجه الخصوص هو العراق، والذي خرجت منه فتنة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم انتشرت في باقي البلاد، بل تاريخ الفرق المارقة في الإسلام كان منشأ أكثرِهم من العراق.

وفي الحديث إشارة إلى استهانة أهل العراق بالدماء، بسبب تأويلاتهم الفاسدة

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، باب، ح (٣٥١١). ومسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان، ح (٢٩٠٥)، واللفظ له.
(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٣٣٤)، وفتح الباري (١٣/ ٥١).

التي استباحوا بها دماء بعضِهم بعضًا.

• وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ مِنْ هَا هُنَا جَاءَتِ الفِتَنُ، نَحْوَ المَشْرِقِ، وَالجَفَاءُ وَغِلَظُ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ أَهْلِ الوَبَرِ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ وَالبَقَرِ، فِي رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ }**(١).

• في هذا الحديث ربط بين الفتنة في جهة الشرق، وبين غلظة قلوب ربيعة ومُضَرٍ (وهما قبيلتان عربيتان ينسب إليها أكثر القبائل العربية) وانشغالهم بالدنيا على حساب دينهم، وهو أهم أسباب إثارة الفتن؛ فالانشغال بالدنيا وتعظيمها وطلبها مقابل الإعراض عن الدين وتعاليمه مما يسبب قسوة القلب وغلظتها، وستكون مُضَرُ مِشعلًا من مشاعل الفتن في الأرض، وسيكون فيها أو أحياء منها من يلاحق المؤمنين إما بفتنتهم أو بقتلهم إلى أن يأتي أمر الله سبحانه وتعالى بإطفاء شعلتهم وردِّ كيدهم.

وَقَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « وَاللهِ لَا تَدَعُ مُضَرُ عَبْدًا للهِ مُؤْمِنًا إِلَّا فَتَنُوهُ أَوْ قَتَلُوهُ، أَوْ يَضْرِبُهُمُ اللهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، حَتَّى لَا يَمْنَعُوا ذَنَبَ تَلْعَةٍ »، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَتَقُولُ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ وَأَنْتَ رَجُلٌ مِنْ مُضَرَ؟ قَالَ: لَا أَقُولُ إِلَّا مَا قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ح (٣٤٩٨)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ح (٥١).

(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٣٣٤٩)، والحاكم في الفتن والملاحم، ح (٨٤٥١) وصحَّحه وأقرَّه الذهبي، المستدرك (٤/ ٥١٧).

ثالثًا: فتن الشَّهَوات:

قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم]

معلوم أن الشيطان يدخل على قلب الإنسان من بابين هما الشَّهَوات والشُّبُهات، فيتعلَّق قلب الإنسان بالدنيا، فيرتع في الشَّهَوات التي تكون مصيدته إلى الشُّبُهات، وطلب الشَّهَوات مَدعاة للإعراض عن الآخرة؛ لذا ربط القرآن بين تضييع الصلاة واتباع الشَّهَوات.

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[آل عمران].

فأشدُّ شَهَوات الدنيا إغواءً أو شُمولًا في التأثير: النساء، ثم البنين، ثم المال وما يتعلَّق به من منصب وجاهٍ، ثم فتنة القرَّاء، وخاصَّة في آخر الزمان.

• وسيأتي زمان يكون فيه خَلْفٌ يقرءون القرآن لا يَعدو تراقيَهم، ويقرأ القرآنَ ثلاثةٌ: « مُنَافِقٌ كَافِرٌ بِهِ، وَفَاجِرٌ يَتَأَكَّلُ بِهِ، وَمُؤْمِنٌ يُؤْمِنُ بِهِ »(١).

وحول هذه الآية نتناول خمسة مطالب:

◘ المطلب الأول: فتنة الدنيا:

ومنشؤها غفلة الأمَّة أو أفراد منها عن عظمة الآخرة.

---

(١) من حديث أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم، ح (٨٦٤٣)، وقال: هذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وأقره الذهبي (المستدرك ٤/ ٥٩٠).

عَنْ عَمْرِو بْنَ عَوْفٍ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ إِلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، ... فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: **{ أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟}**، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: **{ فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَالله لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ }**(١).

• في الحديث دلالة واضحة على أن انبساط الدنيا يَتَرَتَّبُ عليه المنافسة المُفضية للهلاك، وكم أُزهِقت أرواحٌ لأجل الدنيا وزينتها، وطمعًا في الملك الزائف، كما حدث في أواخر الدولة الأموية والدولة العباسية.

• والتوسُّع في الدنيا، والخروج بها من دائرة الحاجات إلى دائرة التَّرَفِ والشَّهَوات سبب أكيد في الهلاك، ولقد ربط القرآن بين التَّرَفِ، وبين وقوع العقاب، وفي إشارة إلى أن التَّرَفَ سبب موجب للعقاب.

وفي الحديث: **{ .. وَإِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ لِمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ الله، وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ، فَهُوَ كَالْآكِلِ الَّذِي لاَ يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ القِيَامَةِ }**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: الجزية، ب: الجزية والموادعة مع أهل الحرب، ح (٣١٥٨).
(٢) من حديث أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: فضل النفقة في سبيل الله، ح (٢٨٤٢).

• فقد يقع الشرُّ الحقيقي في إقبال الدنيا وتزيُّنِها وفَتْنِها للمؤمن، وقد يكون إعراضُها عن المؤمن باب من أبواب العناية الإلهية له.

• وفِتنة الدنيا لا يَسلَم منها أحدٌ، فَعَنْ وَبَرَةَ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَقَدْ أَحْرَمْتُ بِالْحَجِّ؟ فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُكَ؟ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ ابْنَ فُلَانٍ يَكْرَهُهُ وَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُ، رَأَيْنَاهُ قَدْ فَتَنَتْهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ: وَأَيُّنَا - أَوْ أَيُّكُمْ - لَمْ تَفْتِنْهُ الدُّنْيَا؟ ثُمَّ قَالَ: «رَأَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ، وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَسُنَّةُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَقُّ أَنْ تَتَّبِعَ مِنْ سُنَّةِ فُلَانٍ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا»(١).

والمراد بابن فلان الذي أفتَى بالكراهة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وزعم الرجل بأنه فتنته الدنيا لَمَّا قبل أن يكون واليًا على البصرة، والولاية محل الخطر والفتنة، وقول ابن عمر أيكم لم تفتنه الدنيا من باب التواضع، وحسن الأدب خاصة عندما رأى من البعض أنهم يُعَرِّضون بحَبر الأمَّة ابنِ عباس؛ فكأنه يقول للسائل بأن ما تحذَرُه من ابنِ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد وقع فيه الجميع، ولكلٍّ نصيبٌ من فتنة الدنيا، وبشكل يغاير الآخرة.

• والأصل في هذه الأمَّة الخاتمة أنها أمَّة آخرة، وصلاح الدنيا في حقها إنما يكون نتيجة لصلاح الآخرة في قلوبهم وسلوكهم، فإذا ابتُلِيَت الأمَّة بمن لا يهتم إلا بصلاح الدنيا ـ ولو كان ذلك على حساب خراب الآخرة ـ، فهذه هي الطامة الكبرى

(١) أخرجه مسلم في الحج، ب: ما يلزم من أحرم بالحج ثم قدم مكة من الطواف والسعي ح (١٢٣٣).

والفتنة العظمى، وخاصة إذا ساق صلاح الدنيا على أنه هو عين صلاح الآخرة.

• **وأي فتنة أعظم من أن يكون علماء الدين ونسَّاك الأمَّة في الظاهر هم أنفسهم عبَّاد الدنيا، وأي توجيه سليم ستناله العامَّة من أمثال هؤلاء؟!**

ويندرج تحت هذه الفئة المسبِّبة للفتنة كلُّ من تعلَّم علوم الآخرة لأجل الدنيا، وهم كُثُرٌ في زماننا، ولهم نصيب فيما ابتُلِيَتْ به الأمَّة من فِتَنٍ، ووقع الناس في حَيرة من أمرهم، واشتبه عليهم الحقُّ من الباطل.

◘ المطلب الثاني: فتنة النساء:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ }**(١).

لقد انتبه أعداء الأمَّة لهذا المعنى؛ فافتعلوا تلك المعركة المسمَّاة تارة بتحرير المرأة، وتارة بقرارات مؤتمر السكان، وتارة بحقوق المرأة، وأنفقوا على هذه المعركة المليارات، ومازالوا ينفقون، وكان هدفهم هو تحرير المرأة المسلمة من عِفَّتها وكرامتها وحيائها، وتحويلها لسلعة في سوق النخاسة العالمي، وقد نالوا مآربهم إلا من رحم الله، وكانت المرأة هي الخاسر الأكبر لما حادت عن فطرتها التي جُبِلت عليها، وأصبحت داعية الشيطان بعد أن كانت داعية الرحمن **جَلَّ وَعَلَا**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: النكاح، ب: ما يتقى من شؤم المرأة، ح (٥٠٩٦)، ومسلم: ك: الرقاق، ب: أكثر أهل الجنة الفقراء، ح (٢٧٤٠).

(٢) راجع في هذا الباب كتب: حراسة الفضيلة، المرأة في سوق النخاسة العالمي، قضية تحرير المرأة من كتاب واقعنا المعاصر، الإسلام بين كيد أعدائه وجهل أبنائه، وكتاب: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

• وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ }**(١).

• في هذا الحديث إشارة إلى عِظَم فتنة النساء لتساويها بفتنة الدنيا بأكملها، وأنها فتنة مُهلِكة ومدمِّرة، ابتُلِيَت به أمَّة من قبلنا فكان هلاكهم بسببها.

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا }**(٢).

• **وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ**: كاسية من حيث وجود الملابس عليها في أعراف الناس، ولكنها تعتبر عارية بالنسبة للمفهوم الشرعي لكِسْوَة المرأة؛ إمَّا لرِقَّة ملابسها، أو لضِيقها، أو لعدم سَترِها كامل العورة، وإمَّا لشفافية الملابس لما تحتها، وإما لكونها تشبه لباس الشهرة أو زيَّ الكافرات... إلخ.

وهذا الصِّنْفُ لم يَرَه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زمانه، ولكنه مما ابتُلِيت به نساء أكثر المسلمين في زماننا، وهو دليل من دلائل النبوة حيث وقع الوصف الذي ذُكِرَ كما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• **مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ**: وهذا وجه الفتنة، مُميلات لقلوب العِباد عن الحقِّ والعفَّة

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الرقاق، ب: أكثر أهل الجنة الفقراء، ح (٢٧٤٢).
(٢) أخرجه مسلم: ك: اللباس والزينة، ب: النساء الكاسيات، ح (٢١٢٨).

والفضيلة وصراط النجاة، فهن مُميلات لقلوب الرجال بفتنتهم، ومُميلات لغيرهن من النساء ليقتدين بهن، ومُميلات للدعاة للانشغال بفتنتهن عن الفتن والأخطار التي تحيط بالأمَّة.

• قال النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَأَمَّا مَائِلَاتٌ: فَقِيلَ: مَعْنَاهُ عَنْ طَاعَةِ الله وَمَا يَلْزَمُهُنَّ حِفْظُهُ، مُمِيلَاتٌ أَيْ: يُعَلِّمْنَ غَيْرَهُنَّ فِعْلَهُنَّ الْمَذْمُومَ، وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ يَمْشِينَ مُتَبَخْتِرَاتٍ، مُمِيلَاتٍ لِأَكْتَافِهِنَّ، وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ يَمْشُطْنَ الْمِشْطَةَ الْمَائِلَةَ وَهِيَ مِشْطَةُ الْبَغَايَا، مُمِيلَاتٌ يَمْشُطْنَ غَيْرِهِنَّ تِلْكَ المِشْطَةَ »(١).

ولعله يُشِيرُ لما نعهده في زماننا هذا فيما يعرف باسم «الكوافير».

• والحديث يُشِيرُ إلى عِظَمِ جُرْم هؤلاء النِّسوة، وضخامة الوِزر لدرجة أنهن لا يُحْرَمْنَ من دخول الجنة فقط، بل يُحْرَمْنَ من شَمِّ ريحها؛ وذلك للمبالغة في بيان مدى عِظَمِ ما ارتكبن، وأنهنَّ لا تستحقِقْنَ التكريم.

• ولقد ارتبط الحجاب في عُرْفِ العرب بالعِفَّة، واعتبروه شعار الحرَّة دون الأمَّة.

• **ومن مظاهر فتنة النساء مع التبرج**: مزاحمتها للرجال في العمل، وفي وسائل المواصلات، والنوادي، وما يَتَرَتَّبُ عليه من اختلاط مذموم على مستوى كافة المؤسَّسات.

• **ومن مظاهر هذه الفتنة**: ضعف الغَيرة عند الرجال، وغياب شخصية الرجل أمام المرأة، وانقياده لها، وسَعة التفويض، وقانون الأحوال الشخصية المعدَّل الذي يُعطي

(١) شرح النووي على مسلم (٧/ ٣٢٦).

للمرأة ما يَتَرَتَّبُ عليه خراب الأسرة وتشتُّت الأولاد، وعدم تقديس الحياة الزوجية.

• **ومن جوانب فتنة النساء**: ما نراه عبر وسائل الإعلام أو عبر الإنترنت من استخدام مُهين للمرأة، واستخدامها كسلعة مُشتهاة للإغواء والإغراء، هذا ناهيك عن نوادي الرَّقص والمُجون والأغاني والأفلام ..إلخ.

• هذا إنما يَخُصُّ جانب فتنة النساء، ويَصدُق على شريحة معيَّنة في المجتمع مستغلَّة للنساء والإفساد، يقابل ذلك المرأة المسلمة القائمة على أمر الله سبحانه وتعالى فهي أمل الأمَّة، ولها نظرة التكريم والإعجاب، وهي شقيقة الرجل في الوظيفة الدينية وفي الذَّود عن الإسلام، ولهن مواقف في زماننا تستحق أن تُسَطَّر بحروف من نور، فالمرأة شُعلة إن اتَّقدت في الخير كانت مَنارًا يُهتَدى به، وإن استُغِلَّتْ في الشرِّ احترقت وأحرَقت.

◘ المطلب الثالث: فتنة المال:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[الأنفال].

ووجه الافتتان بهما؛ أنهما سبب في إلهاء الإنسان عن القيام بواجباته الدينية، والقيام بالطاعة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾[طه].

فهذه الآية تُشير إلى فتنة العِجل التي وقع فيها بنو إسرائيل، وهم إلى يومنا هذا واقعون في لَوْثَتِها ، فتوجُّهاتهم لعبادة المال واستخدامه في الشرِّ واضحة في زماننا، وسيقع في فتنة المال أمَّةُ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• عَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ }**(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ }**(٢).

وَعَبْدُ الدِّينَارِ هو الحريص على طلبه وجمعه ومحبته، القائم عليه كأنه خادم له، فهو كالأسير الذي لا يجد منه خلاصًا، وصار عبدًا له لشَغَفِه وحِرصه ومحبَّته له.

• ومن أجل المال والى الناس بعضُهم بعضًا، ولأجله عادى بعضُهم بعضًا، مما أدى إلى التنافس والتحاسد والتباغض والاقتتال.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **{ إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟ }** قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ }**(٣).

الأمَّة الإسلامية في بداية عهدها تربَّت على التنافس في الآخرة، والإعراض عن الدنيا، ثم توجَّهت القلوب نحو الدنيا، والدنيا لا تتَّسِع لرغبات كل الناس، أو

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الزهد، ب: ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، ح (٢٣٣٦) وقال: حسن صحيح غريب، قال ابن حجر: أخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم وصحَّحوه، الفتح (١١/ ٢٥٨).
(٢) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، ح (٢٨٨٦)، ح (٢٨٨٧).
(٣) أخرجه مسلم: ك: الزهد والرقائق، ح (٢٩٦٢).

لقضاء شهواتهم عندها يقعون في التحاسد؛ فالتحاسد نتيجة لازمة لتشوُّف الناس للدنيا وطلبهم لها، ونتيجة الحسد ذهاب الإيمان، ويَتَرَتَّبُ عليه التدابر والبغضاء، وهذه عين الفتنة.

• وفي الحديث تعوُّذه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فتنة الغِنَى ومن فتنة الفقر(١).

والغِنَى والفقر هما من قدر الله سبحانه وتعالى، والفقر قيده الصبر، والغِنَى قيده الشكر، وبهما (الصبر والشكر) يُحفَظُ الإنسان من لوثة الفتنة في حالي الفقر والغِنَى؛ لأن الفقر قد يُنسيه ويشغله عن ربه تعالى، والغِنَى قد يُطغيه.

• والغِنَى والفقرُ لا يُوصَفان بالذم والمدح في ذاتهما، وإنما في الحالة التي تعلَّقت بهما؛ فإذا وصل الفقر لدرجة أنست صاحبها مقام العبودية والرضى لله تعالى وانشغل به عن طاعة ربه ورافقه السَّخَط والضَّجَر فهذا الحدُّ المذموم، وكذلك الغِنَى إذا كان سببًا في طغيان صاحبه وكفرانه لنعمة خالقه ورازقه عندها يكون فتنة لصاحبه، وسببًا في بواره.

أورد ابن حجر في الفتح: « قَالَ الْغَزَالِيُّ: فِتْنَةُ الْغِنَى الْحِرْصُ عَلَى جَمْعِ الْمَالِ وَحُبُّهُ حَتَّى يكسبه من غير حلّه وبمنعه مِنْ وَاجِبَاتِ إِنْفَاقِهِ وَحُقُوقِهِ، وَفِتْنَةُ الْفَقْرِ يُرَادُ بِهِ الْفَقْرُ الْمُدْقِعُ الَّذِي لَا يَصْحَبُهُ خَيْرٌ وَلَا وَرَعٌ حَتَّى يَتَوَرَّطَ صَاحِبُهُ بِسَبَبِهِ فِيمَا لَا يَلِيقُ بِأَهْلِ الدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ، وَلَا يُبَالِي بِسَبَبِ فَاقَتِهِ عَلَى أَيِّ حَرَامٍ وَثَبَ وَلَا فِي أَيِّ حَالَةٍ تَوَرَّط »(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الدعوات، ح (٦٣٧٦).
(٢) فتح الباري (١١/ ١٨١).

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ بِمَا أَخَذَ المَالَ، أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ }**(١).

• والحديث يُشِيرُ إلى علامة من علامات الساعة، وهي عدم مبالاة الناس في جانب الأموال، والحرص على تحصيله دون النظر إلى حِلٍّ أو تحريم، ولعل هذه النفسية هي التي ساعدت وعزَّزت وجود البنوك الربوية بذلك الشكل الواسع حتى أصبحت التجارة الربوية هي الأكثر رواجًا، أضف إلى ذلك انتشار أشكال عِدَّة من الكسب الحرام، منها: الغِشُّ في البيوع والصناعة، وحتى الامتحانات التي سوف تكون شهادتها مصدرًا للكسب، والحلف الكاذب، والرشوة، والبخس، والمتاجرة بالمحرَّمات.

• وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ }**(٢).

• الحديث يُشِيرُ إلى فساد حال الناس وذِمَمِهِم، وتمكُّن الفتن منهم، وتَغلغُل الحرام في أموالهم، ومن الملاحظ أن زمام اقتصاد الشعوب الإسلامية وتجارتها قد ارتبط بالبنوك الربوية، والقروض العالمية، حتى الوظائف لا ينالها أو يرتقي فيها إلا كل مُوالٍ أو مُهادن أو مُتملِّق، وغالبًا ما يكون هذا الثمن على حساب دين المسلم.

[ولقد قرأت رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بعنوان: «هل أكل الحلال

---

(١) أخرجه البخاري: ك: البيوع، ب: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا﴾، ح (٢٠٨٣).
(٢) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: من الدين الفرار من الفتن، ح (١٩).

متعذِّر في هذا الزمان» فماذا لو نظر إلى زماننا الآن؟!].

◘ المطلب الرابع: فتن المحبوبات:

قال الله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[التوبة].

• هذه الآية واضحة في بيان أصول المحبوبات الثمانية، وفيها بيان أن تقديمها على محبة الله ورسوله وطاعتهما يَتَرَتَّبُ عليه ثلاث عقوبات: الحرمان من الهداية، والتربُّص المتضمِّن للوعيد، والوصف بالفسق.

• وفي حديث سابق ذكرنا فيه قول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ»، وفيه دلالة على أن الرجل يُفتَن في أهله وولده، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[الأنفال: ٢٨].

• وَقَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ: « الْفِتْنَةُ بِالْأَهْلِ تَقَعُ بِالْمَيْلِ إِلَيْهِنَّ أَوْ عَلَيْهِنَّ فِي الْقِسْمَةِ وَالْإِيثَارِ حَتَّى فِي أَوْلَادِهِنَّ، وَمِنْ جِهَةِ التَّفْرِيطِ فِي الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ لَهُنَّ، وَبِالْمَالِ يَقَعُ الِاشْتِغَالُ بِهِ عَنِ الْعِبَادَةِ، أَوْ بِحَبْسِهِ عَنْ إِخْرَاجِ حَقِّ اللهِ، وَالْفِتْنَةُ بِالْأَوْلَادِ تَقَعُ بِالْمَيْلِ الطَّبِيعِيِّ إِلَى الْوَلَدِ وَإِيثَارِهِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، وَالْفِتْنَةُ بِالْجَارِ تَقَعُ بِالْحَسَدِ وَالْمُفَاخَرَةِ والمزاحمة فِي الْحُقُوق »(١).

---

(١) فتح الباري (٦/ ٧٠٠).

وهذا جانب من أسباب الفتنة بالأهل والولد والمال.

◘ المطلب الخامس: فتن السلاطين:

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ }**(١).

• يُشِيرُ الحديث إلى خطورة فتنة الأمراء والعلماء، وأنها الفتنة الحقيقية، أو أكثر ما يُفتَتن بها في الأمَّة، بل أشدُّ من فتنة الدَّجَّال.

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « كُنْتُ مُحَاصِرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: **{ غَيْرُ الدَّجَّال أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّال }**، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَدْخُلَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ شَيْءٍ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِكَ مِنَ الدَّجَّال؟ قَالَ: **{ الْأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ }**(٢).

وذلك لأن فتنة الدَّجَّال أكثر وضوحًا، وهي فتنة قصيرة تمرُّ بالأمَّة عبر مرحلة من مراحلها؛ أما فتنة الأئمة المضلِّين فهي أكثر خَفاءً على أهل العلم، بحيث يقع عدد منهم في شِباكها، ويَترَتَّبُ على ذلك وقوع العامة أيضًا، وهي ملازمة للأمَّة في أكثر مراحلها.

◘ طرق أبواب الملوك من أسباب الفتن:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ**

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢٢٣٩٣)، والترمذي، أبواب الفتن، ح (٢٢٢٩) وقال عنه حسن صحيح.
(٢) أخرجه أحمد، ح (٢١٢٩٧) عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتُتِنَ }(١)، وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **{ وَمَنْ لَزِمَ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ }** زَادَ: **{ وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ دُنُوًّا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا }**(٢).

• فالتزلُّف للسَّلاطين والتقرُّب منهم، أو طَرْقُ أبوابهم سببُ فتنة، لأنه إذا وافق السلطان فيما يأتيه وداهنه خاطَر بدينه، وإن خالفه خاطرَ بدنياه، وفي الأثر: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ فَنَادَى ابْنَ مَسْعُودٍ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَتَى أُضَلُّ، وَأَنَا أَعْلَمُ؟ قَالَ: «إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ إِذَا أَطَعْتَهُمْ أَدْخَلُوكَ النَّارَ، وَإِذَا عَصَيْتَهُمْ قَتَلُوكَ »(٣).

فإتيان السلاطين من غير ضرورة أو حاجة؛ وإنما طمعًا في الدنيا وحطامها سبب من أسباب الفتنة.

ولا يدخل في هذا الباب من يدخل عليهم لدعوتهم إلى الله تعالى، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول كلمة الحق.

• فالسلامة في عدم غِشيان الملوك، وعدم التزلُّف لهم، أو الدنوِّ من مجالسهم، حيث لن ينال أحدٌ من السلطان شيئًا من دنياه حتى ينالَ السلطانُ من دينه، وكانت أُعطيات الملوك في أزمنة خير القرون نزيهة، ويُراد بها الصالح العام، أما بعد ذلك فقد تغيَّرت وأوشكت أن تكون أثمان دينكم.

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الصيد، ب: في اتباع الصيد، ح (٢٨٥٩)، والترمذي: أبواب الفتن، ح (٢٢٥٦) وقال: حديث حسن غريب، وصحَّحه الألباني.
(٢) أخرجه أبو داود: ك: الصيد، ح (٢٨٦٠).
(٣) أخرجه الحاكم: ك: الفتن، ح (٨٤٢٤)، وقال موقوف صحيح.

• عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلَا يَكُونَنَّ عَرِيفًا وَلَا شُرْطِيًّا ولا جابِيًا ولا خازِنًا }**(١).

• في هذا الحديث تحذير لأفراد الأمَّة من إعانة الظالم على ظلمه بأي شكل من الأشكال، وفيه إشارة لما يُعرَف به الأمراء الظلمة من غيرهم، وهي أن يقرِّبوا الشِّرار، ليكونوا بطانة لهم.

◘ موقف المسلم من هذه القضية:

١ـ عدم تصديق السلاطين بكذبهم، وممارتهم في باطلهم.

٢ـ عدم إعانتهم على ظلم الآخرين أيًّا كان شكل هذه الإعانة.

٣ـ عدم الرضا أو المتابعة للسلاطين على منكراتهم.

٤ـ الإنكار عليهم بكلمة الحقِّ وبالحكمة والحُجَّة.

٥ـ الصبر على ظلمهم وعدم الخروج عليهم ما أقاموا الدين، ولم يرضوا بالكفر البواح.

• يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « إنْكَارُ الْمُنْكَرِ وَشُرُوطُهُ:

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرَعَ لِأُمَّتِهِ إيجَابَ إنْكَارِ الْمُنْكَرِ لِيَحْصُلَ بِإِنْكَارِهِ مِنْ الْمَعْرُوفِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا كَانَ إنْكَارُ الْمُنْكَرِ يَسْتَلْزِمُ مَا هُوَ أَنْكَرُ

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب طاعة الأئمة، ح (٤٥٨٦)، وقال العدوي: صحيح (الصحيح المسند من أحاديث الفتن) (٢٠٠).

مِنْهُ وَأَبْغَضُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّهُ لَا يَسُوغُ إِنْكَارُهُ، وَإِنْ كَانَ اللهُ يُبْغِضُهُ وَيَمْقُتُ أَهْلَهُ، وَهَذَا كَالْإِنْكَارِ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ بِالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُ أَسَاسُ كُلِّ شَرٍّ وَفِتْنَةٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ،.. وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا جَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ فِي الْفِتَنِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ رَآهَا مِنْ إِضَاعَةِ هَذَا الْأَصْلِ وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَى مُنْكَرٍ؛ فَطَلَبَ إِزَالَتَهُ فَتَوَلَّدَ مِنْهُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ؛ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَى بِمَكَّةَ أَكْبَرَ الْمُنْكَرَاتِ وَلَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهَا، بَلْ لَمَّا فَتَحَ اللهُ مَكَّةَ وَصَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ عَزَمَ عَلَى تَغْيِيرِ الْبَيْتِ وَرَدِّهِ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ - مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ - خَشْيَةُ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنْ عَدَمِ احْتِمَالِ قُرَيْشٍ لِذَلِكَ لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَامِ وَكَوْنِهِمْ حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِهَذَا لَمْ يَأْذَنْ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى الْأُمَرَاءِ بِالْيَدِ؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ كَمَا وُجِدَ سَوَاءٌ»(١).

والأمر يَؤُول إلى مَن يملك التغيير بالقوة دون أن يَتَرَتَّبُ على إنكاره منكرٌ أشدُّ منه، وهذه هي عين الموازنة الحكيمة إذا توفَّرت النوايا الحسنة، والهمَّة التي لا تبتغي إلا وجه الله، وإلا فوجه الحكمة ما اختاره النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الطريقة دون غيرها، وما يعقلها إلا العالمون.

وانظر كيف كانت بداية الفتنة بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكيف أن بدايتها كان إنكارًا على أمور وهمية كما حصل مع عثمان، فانتهى الأمر بالأمَّة لأن تقع فريسة في يد الحجَّاج وزياد بن أبيه ومسلم بن عقبة.

---

(١) إعلام الموقِّعين، لابن القيم (٣/ ١٥).

رابعًا: فتن الشُّبُهات:

وهي الأخطر على قلب المسلم، عندما تثار الشكوك فتجعل المسلم في حيرة من أمره يضاف إليها اختلاط الحقِّ بالباطل.

قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[النور]، فالواقع في فتن الشُّبُهات، يشبه الغريق في بحر لجيٍّ متلاطم الأمواج متراكم الظلمات، ومن أراد النجاة فليس له إلا الاستنارة بنور الله سبحانه وتعالى من كتابه وسنة نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « **فصل: النوع الثاني**: أصحابٌ مثلُ الظلمات المتراكمة، وهم الذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال؛ فتراكمت عليهم ظلمة الطبع، وظلمة النفوس وظلمة الجهل؛ حيث لم يعملوا بعلمهم، فصاروا جاهلين، وظلمة اتباع الغي والهوى فحالهم كحال من كان في بحر لجيٍّ، لا ساحل له، وقد غشيه موج، ومن فوق ذلك الموج موج، ومن فوقه سحاب مظلم»(١).

▫ فتن كقطع الليل المظلم:

لأنها تُعمي بصيرة المؤمن، وتجعله في حيرة من أمره، وعدم استبانة طريق الآخرة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، يَبِيعُ قَوْمٌ**

(١) التفسير القيم، لابن القيم، ص (٣٨٧).

دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ، الْمُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ - أَوْ قَالَ: عَلَى الشَّوْكِ }(١).

• في الحديث بيان قرب الفتن، وأن أكثر مَن يذوق ويلاتها هم العرب، ولا يحفظ الخائض فيها إيمانه مقدار نصف يوم.

فمثلًا: يرىٰ في الصباح عصمة دم أخيه المسلم، ثم تقع له شبهة تجعله يستبيح دمه أو ماله أو عرضه في المساء، وقتال المسلم واستباحة دمه كفر، وهو من باب الكفر العملي إن كان يقاتله دون اعتقاد منه باستباحة دمه، وإلا دخل في باب الكفر الاعتقادي إن كان يرىٰ حِلَّ سفك دمه.

• وفي الحديث إشارة إلىٰ تمكُّن الدنيا والشَّهَوات من قلوب أهل ذلك الزمان، لذا يباع الدين والإيمان بأبخس الأثمان، وتكون الدنيا وشهواتها هي معيار القبول عندهم؛ لذا يشتد علىٰ المؤمن الحفاظ علىٰ ثوابت الدين، فيشبه بالقابض علىٰ الجمر أو الشَّوْك، وكلاهما مُرٌّ.

«وقالَ الْحَسَنُ: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ صُوَرًا وَلَا عُقُولَ، أَجْسَامًا وَلَا أَحْلَامَ، فَرَاشَ نَارٍ وَذِبَّانَ طَمَعٍ، يَغْدُونَ بِدِرْهَمَيْنِ، وَيَرُوحُونَ بِدِرْهَمَيْنِ، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِثَمَنِ الْعَنْزِ»(٢).

وعند الفتن يكون القاعد فيها خيرًا من الماشي، والساكت الملازم بيته خيرًا من المتكلِّم فيها، خاصَّة في الفتن التي يُراقُ فيها دماء المسلمين.

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، ح (١١٨)، وأحمد في مسند المكثرين، ح (٩٠٧٣) واللفظ له.
(٢) أخرجه أحمد، ح (١٨٤٠٤).

[**ومن أحراز الفتن حين وقوعها**: لزوم البيت، وتعلُّم العلم الصحيح من الكتاب والسنة، وحفظ آيات من سور القرآن كعشر آيات من سورة الكهف تحفظ من فتنة الدَّجَّال، وملازمة أهل الصلاح، وخاصَّة من هو على شاكلتك].

▫ فتن الشيطان:

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **{ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ }**(١).

• يهدف الشيطان - نعوذ بالله منه - بعد ولوغ الإنسان في الشَّهَوات إيقاعه في الشُّبُهات من: إثارة الشكوك في قلب المسلم نحو الرسالة والمرسل والرسول ووعد الآخرة، ثم الله **عَزَّوَجَلَّ**.

• وهذا الحديث فيه تنبيه إلى طبيعة قدرة الشيطان في البيئة الإسلامية التي تشرَّبت تعاليم التوحيد، وخاصة جزيرة العرب، فغاية قدرته هو من خلال إثارة العداوة والبغضاء والتفرقة بين المسلمين.

• وفي الحديث إشارة إلى أهمية الصلاة في لجم الشيطان، والحذر من إثارة الشُّبُهات التي يقذف بها جنوده ليوهن علاقة المسلم بأخيه المسلم.

• عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ**

---

(١) أخرجه مسلم: ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا، ح (٢٨١٢).

حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ }(١).

• في الحديث إشارة إلى أن بعوث إبليس أشبه بسرايا الحرب التي ترسَل لتحقيق مهمة مخصوصة، ثم العودة إلى مركز القيادة.

• وأعظم الفتن في نظر إبليس هو هدم الأسرة المسلمة؛ لذا لا نعجب من اهتمام الغرب بحقوق المرأة وحريتها في بلادنا بغرض إفسادها وإفساد أسرتها.

• وعلى المسلم أن يكون حَذِرًا من هذا العدو المبين وأسلحته وخيله ورجاله، وأن لا يسترسل لشُبُهاته، ولا يستسلم لشَهَواته، حتى ولو كانت على شكل خواطر، أو بفعل شياطين من الإنس.

• وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **{ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ: وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ }**(٢).

وهذا جانب من الفتن التي يتآزر فيها شيطان الإنس والجن من خلال خلط الحقِّ بالباطل، والصدق بالكذب.

خامسًا: تتابعُ الفتن وكثرتُها:

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ،**

---

(١) أخرجه مسلم ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا، ح (٢٨١٣).
(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق، ب: ذكر الملائكة، ح (٣٢١٠).

وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ}(١).

مُجَخِّيًا: مائلًا منكوسًا، **مُرْبَادًّا**: شيء من بياض بسيط يخالط السَّواد، أو هو أسود كدورة، **الصَّفَا**: الحجر الأملس الذي لا يعلق فيه شيءٌ.

• هذا الحديث فيه إشارة إلى كثرة الفتن التي تعصف بقلوب المسلمين، [ولأن القلب هو محل التوحيد والإيمان والتقوى والنية ونظر الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكذلك محل المحبة والشوق والرجاء واليقين والتوكل والإنابة والخشية والخوف والرجاء]. وهي فتنة متتابعة كل واحدة تسلَّم للأخرى، كما تُعرَض العيدان على نساج الحصير.

• والقلوب تستقبل الفتن على وصفين، **الأول**: قلب يخوض في الفتن ويقع فيها، كلما وقع في فتنة زال عنه من نور الإسلام والإيمان من قلبه مثلها، وذلك بسبب أن صاحب هذا القلب يتابع هواه في الفتن سواء كانت فتن أموال أو نساء، أو شبهات أو شهوات أو دماء، فيتأثر بها حتى يصبح قلبه أسودًا منكوسًا خاليًا من الإيمان مائلًا لا يقبل الحق.

والثاني: قلب تَنَكَّرَ للفتن، على علم ونور ويقين وثبات، استبان له الحقُّ من الباطل فأصبح محصَّنًا من الفتن، كله بياض ونور من نور الوحي، هذا القلب بعد ذلك ثابتٌ لا يتأثَّر بالفتن، ولا يعلَق فيه شيءٌ من غُبارها.

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبًا، ح (١٤٤).

• عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: **{ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ }**(١).

• هذا الحديث يُشِيرُ إلى تتابُع الفتن المهلِكة، ولعل المقصود هنا هي فِتَنُ الدماء، وهذه الفتن أول ما تَعصِف بأصول الإيمان في قلوب الناس، وتحوِّلُهم إلى الشرك، أو تُضعِف في قلوبهم التوجَّه نحو الآخرة، وتعزِّز فيها طلب الدنيا، حيث ذكر الحديث أهمَّ مَعْلَمَيْنِ من معالم الإيمان، وهما الإيمان بالله واليوم الآخر.

• عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً فَإِذَا غُيِّرَتْ، قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ؟»، قِيلَ: مَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: «إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ »(٢).

• يرشد الحديث إلى زمان تغيُّر معالم الرسالة في قلوب الناس، وهم يحسبون

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإمارة، ب: الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، ح (١٨٤٤).
(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة (١٨٥)، والحاكم في الفتن والملاحم، ح (٨٥٧٠) وقال عنه الذهبي: صحيح على شرط الشيخين.

أنهم على الحق، وحقيقتهم أنهم أبعد ما يكونون عنه، حيث يألفون لطول أمدهم ما هم فيه من ضلالات، ويظنون لغفلتهم وجهلهم أنهم على الحق، وذلك عند توفُّر أسباب الفتنة: من كثرة الجُهَّال، وقلَّةِ العلماء والفقهاء، إضافةً إلى كثرة الأمراء؛ مما يُشِيرُ إلى تفرُّق الأمَّة، وهؤلاء مع كثرتهم ليس فيهم مؤتمن على الأمَّة.

• والملاحظ أن البدع والضلالات تأخذ شكلًا شرعيًّا بين الناس، بحيث إذا تُرِكَ منها شيءٌ أنكروا بزعمهم أنه تُرِكَتِ السُّنَّةُ، وهذا من شدَّة إلباس الحقِّ بالباطل، وهو عُين ما وقعت فيه بنو إسرائيل.

• عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ: أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ }**. قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: **{ يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ }** قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: **{ يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ }** (١).

• في هذا الحديث دلالة على أن أكثر الفرق المتناحرة في الفتن هم من دعاة النار؛ لذا كان الأسلم فيها الاعتزال باللسان واليد، وأن ينشغل الإنسان برعاية

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: نزول الفتن كمواقع القطر، ح (٢٨٨٧).

أمواله سواء كانت زراعة أم رعيًا، أو نحوه.

• وكلما كان الإنسان بعيدًا عن أتون الفتنة كلما كان أكثر نجاة، وفي الحديث إشارة إلى ضرورة عدم الاشتراك في هذا الاقتتال مهما كانت النتيجة، وفي حالة الإكراه يكون سلبيًّا مدافِعًا وليس مهاجِمًا حتى تتمَّ له النجاة.

• وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ قالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: **{ نَعَمْ }** قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: **{ نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ }**. قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: **{ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ }** قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: **{ نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا }** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: **{ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا }** قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: **{ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ }**، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ **{ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ }**(١).

• هذا الحديث من أهم الأحاديث الدالة على تقلُّب الشرِّ والخير في حقِّ الأمَّة، وقد يُراد بالشرِّ الأول ما وقع من مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أما الخير الذي فيه دَخَنٌ إشارة إلى اجتماع الناس بعد فتنة، ولا يكون على صورته قبل الفتنة، بل اجتماع مع

(١) أخرجه البخاري: ك: الفتن، علامات النبوة في الإسلام، ح (٧٠٨٤)، ومسلم: ك: الإمارة، ب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، ح (١٨٤٧).

اختلاف في القلوب، ثم تفرُّق الأمَّة إلى شِيَعٍ وأحزاب {دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ}؛ مما يدل على أنها من فرق الضلال، والعاصم لزوم جماعة المسلمين، وطاعة إمامهم الخليفة القائم على رعاية دين الله سبحانه وتعالى، وحفظ معالمه بين الرعيَّة، وإن كان فيه ظلم فهذا لا يقدح في ضرورة الصبر عليه وطاعته في طاعة الله تعالى، وإن لم يكن لهم إمام بهذه الصورة { إن كان لله خليفة في الأرض..} (١)، فاعتزل تلك الفرق كلها، وهو صورة من صور الإنكار على فرق الضلال، أو موافقتها في دعواها إلى النار.

سادسًا: الفتن العظام:

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « وَالله إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ، فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا، لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ - وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ -: { مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ

---

(١) من حديث أخرجه أبو داود في الفتن، ح (٤٢٢٥)، وقد ورد فيه: { إِنْ كَانَ للهِ خَلِيفَةٌ فِي الْأَرْضِ فَضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَأَطِعْهُ، وَإِلَّا فَمُتْ، وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَة }، وحَسَّنه الألباني.
وللإمام ابن حزم تعليق هام على هذا الحديث، يقول: « أما أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصبر على أَخذ المَال وَضرب الظّهْر فَإِنَّمَا ذَلِك بِلَا شكّ إِذا تولى الإِمَام ذَلِك بحَق، وَهَذَا مَا لَا شكّ فِيهِ أَنه فرض علينا الصَّبْر لَهُ، وَإِن امْتنع من ذَلِك؛ بل من ضرب رقبته إِن وَجب عَلَيْهِ فَهُوَ فَاسق عَاص لله تَعَالَى. وَأَمَّا إِن كَانَ ذَلِك بباطل فمعاذ الله أَن يَأْمر رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصبر على ذَلِك... فيقين لَا شكّ فِيهِ يدْرِي كل مُسلم أَن أَخذ مَال مُسلم أَو ذمِّي بِغَيْر حق وَضرب ظَهره بِغَيْر حق إِثْم وعدوان وَحرَام قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِن دماءكم وَأَمْوَالكُمْ وَأَعْرَاضكُمْ حرَام عَلَيْكُم فَإِذْ لَا شكّ فِي هَذَا وَلَا اخْتِلَاف من أحد من الْمُسلمين فالمسلم مَاله للأخذ ظلما وظهره للضرب ظلما وَهُوَ يقدر على الِامْتِنَاع من ذَلِك بِأَيّ وَجه أمكنه معاون لظالمه على الْإِثْم والعدوان » انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٣٣).

يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ }»(١).

وورد في الأثر عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: « فِي الْإِسْلَامِ أَرْبَعُ فِتَنٍ، تُسْلِمُهُمُ الرَّابِعَةُ إِلَى الدَّجَّال: الرَّقْطَاءُ، وَالْمُظْلِمَةُ، وَهَنَةٌ وَهَنَةٌ »(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا** ﴾ [الأنعام:٦٥]. قَالَ: **{ أَرْبَعُ فِتَنٍ تَأْتِي الْفِتْنَةُ الْأُولَى فَيُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالثَّانِيَةُ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالثَّالِثَةُ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالْفُرُوجُ، وَالرَّابِعَةُ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ، تَمُورُ مَوْرَ الْبَحْرِ، تَنْتَشِرُ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ }**(٣).

والرابعة تُشير إلى فتنة الدَّجَّال عندما ينحسِر الفُرات عن جبل من ذهب، فيُقتَل عليه من كل تِسعَةٍ سبعةٌ.

• وعن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ الله، فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟ قَالَ: **{ هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ، تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا،**

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: إخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يكون إلى قيام الساعة، ح (٢٨٩١).
(٢) كتاب الفتن، لنعيم بن حماد، برقم (٨٠)، و(١٠٥).
(٣) المصدر السابق، برقم (٩٠)، وانظر: رقم (٦٧٦).

حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ، فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّال، مِنْ يَوْمِهِ، أَوْ مِنْ غَدِهِ }(١).

• **الفتنة الأولى: الأحلاس:**

جمع حِلس، وهو الكِساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، شبه الفتنة بالحِلس لدوامها وطول لبثها وملازمتها للناس.

ولعل المراد بها فتنة تشيُّع الأمَّة إلى فِرَقٍ، وإذاقة بعضهم بأسَ بعض، (**هَرَبٌ وَحَرْبٌ**)، وسبيل النجاة من هذه الفتنة المتعلقة بالدماء هو ملازمة البيت، وعدم مشاركة القوم.

• **الفتنة الثانية: فتنة السَّراء:**

والمراد بها النَّعماء التي تَسُرُّ الناس من الصحة والرخاء، ومن معاني السَّراء أيضًا البَطحاء؛ أي فتنة الصحراء، ولعلها - والله أعلم - ظهور البترول في بلاد العرب، وما أدَّى إليه من التَّرَف والنعيم والركون إلى الدنيا والتنافس فيها، والتعالي بسببها؛ مما جعل المُلك جبريًّا ذا توجُّهات منافية لطبيعة رسالة الأمَّة.

ويلاحَظ أن هذه الفتنة قد ارتبطت بشخص من أهل بيت النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي هو سبب إشعالها في الأمَّة، ونفي النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {**وَلَيْسَ مِنِّي**} من باب قول الله سبحانه لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في شأن ابنه: ﴿**إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ**﴾ [هود:٤٦]؛ لذا عقَّب بقولِه: { **وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ** }.

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الفتن والملاحم، ب: ذكر الفتن ودلائلها، ح (٤٢٤٢)، وأحمد، ح (٦١٦٨)، والحاكم في الفتن، ح (٨٤٤١) وقال: صحيح الإسناد، وأقرَّه الذهبي.

• وقد يكون إشارة إلى بداية عهد الحكومات الجَبْرِيَّةِ التي تكون بعد المُلك العَضود، والذي انتهى بسقوط الخلافة العثمانية.

• الفتنة الثالثة: فتنة الدُّهَيماء:

أي المظلمة، وهي الأخطر في الفتن الثلاث، وهي المُمَهِّدة لخروج الدَّجَّال، ومواصفات هذه الفتنة أنها: **فتنة عامة**: أي تَعُمُّ المسلمين جميعًا، وأنها مُتجدِّدة طويلة الأمد، وأنها ترتكِز على الشَّهَوات والشُّبُهات، وهي فتنة واسعة التأثير على القلوب، بل مؤثِّرة في نظرة الناس للحقائق؛ مما يُعزِّز أن للإعلام دورًا واسعًا فيها، وهي كذلك فتنة الحصاد والغَرْبَلة والتمييز حتى يكون الناس إما قلَّة من أهل الإيمان زادتهم الفتنة ثباتًا وإصلاحًا لله **عَزَّوَجَلَّ**، يتميَّزون بمعتقدهم وصفاتهم وسلوكهم وتوجُّهاتهم، أو كثرة من المنافقين، نفاقٌ محض لا إيمان فيه؛ وهذا مما يجعل الكثيرين يختارون طريق النفاق المَحض؛ لأنه يحقِّق مآربهم الدنيوية التي كانوا يرتعون فيها قبل الفتنة، كما أنها الفتنة الأقرب لفتنة الجدال في المواصفات والتوقيت، والدَّجَّال يمتلك قدرات خارقة، يدَّعي الربوبية، وينصِب نفسه لملاحقة أهل الله ومطاردتهم، وبثِّ الشُّبُهات حولهم، والتضييق على من يساندهم، لذا فالقرية التي لا تتبعه تحاصَر اقتصاديًّا، والقرية التي تؤمن به وتسانده يُغدِق عليها من عطاياه، فالدَّجَّال ليس له إلا شعار واحد: **إما معي وإما عليَّ**.

• ومن علامات هذه الفتنة أن يكون هناك تقصير من المسلمين في نصرة الحقِّ وأهله، بل خذلانه، وشعار أكثر الناس: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا على شاشات التلفاز مشاهدون)، وهذا وجه من الفتنة أو لطماتها، ﴿ **فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ** ﴾، لكن الواقع يقول: [فلولا إذ جاءهم بأسنا تفرَّجوا].

• وفي الأثر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{تَأْتِيكُمْ بَعْدِي أَرْبَعُ فِتَنٍ، الْأُولَى يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالثَّانِيَةُ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالثَّالِثَةُ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالْفُرُوجُ، وَالرَّابِعَةُ صَمَّاءُ عَمْيَاءُ مُطْبِقَةٌ، تَمُورُ مَوْرَ الْمَوْجِ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى لَا يَجِدَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مِنْهَا مَلْجَأً، تُطِيفُ بِالشَّامِ، وَتَغْشَى الْعِرَاقَ، وَتَخْبِطُ الْجَزِيرَةَ بِيَدِهَا وَرِجْلِهَا، وَتُعْرَكُ الْأُمَّةُ فِيهَا بِالْبَلَاءِ عَرْكَ الْأَدِيمِ، ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُ فِيهَا: مَهْ مَهْ، ثُمَّ لَا يَعْرِفُونَهَا مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا انْفَتَقَتْ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى}**(١).

• هذا الأثر فيه إشارة إلى أن هذه الفتنة أول ما تطيف بالشام، ثم تغشى العراق، ويكون البلاء فيها أشدَّ، ثم الجزيرة تخبطها بيدها ورجلها (يعني أخف حِدَّة) إنما هي خبطة أو خبطتان.

• والمتتبِّع لحرب الإرهاب المصطنعة في كل العالم اليوم يفهم دلالات هذه العبارة، حتى إنه لا يجد إنسانٌ منها ملجأً في الأرض.

• وهذا الوصف الدقيق لفتنة الدُّهَيْماءِ: أليس هو عين ما تعيشه الأمَّة اليوم بصورته الكاملة؟!

سابعًا: موقف المسلم من الفتن:

١ـ الاعتصام بالكتاب والسنة: وهو حِرز قَدَرِيٌّ من الفتن، قال تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾[آل عمران: ١٠٣].

---

(١) كتاب الفتن، لنعيم بن حماد، برقم (٨٩).

• عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خُطْبَةِ الوَداعِ: {.. **وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ الله** }(١).

وفي حديثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ** }(٢).

• فالاعتصام بحبل الله تعالىٰ يتحقَّق بأمرين، ذكرهما ابن القيم في قوله:

«فَالِاعْتِصَامُ بِهِ نَوْعَانِ: اعْتِصَامُ تَوَكُّلٍ وَاسْتِعَانَةٍ وَتَفْوِيضٍ وَلَجْءٍ وَعِيَاذٍ، وَإِسْلَامِ النَّفْسِ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِسْلَامِ لَهُ سُبْحَانَهُ.

وَالثَّانِي: اعْتِصَامٌ بِوَحْيِهِ، وَهُوَ تَحْكِيمُهُ دُونَ آرَاءِ الرِّجَالِ وَمَقَايِيسِهِمْ، وَمَعْقُولَاتِهِمْ، وَأَذْوَاقِهِمْ وَكُشُوفَاتِهِمْ وَمَوَاجِيدِهِمْ. فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ مُنْسَلٌّ مِنْ هَذَا الِاعْتِصَامِ، فَالدِّينُ كُلُّهُ فِي الِاعْتِصَامِ بِهِ وَبِحَبْلِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَإِخْلَاصًا وَاسْتِعَانَةً، وَمُتَابَعَةً، وَاسْتِمْرَارًا عَلَى ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »(٣).

• واجتماع كلمة المسلمين هي في أعلىٰ أولويات الأمَّة؛ لذا قَرَنَتِ الآية بين أمرين، الأول: الأمر بالاعتصام الذي به تتحقَّق الألفة، والثاني: النهي عن التفرَّق.

• [وحفظ عشر آيات من سورة الكهف حِرْزٌ من الدَّجَّال، وقراءتها يوم الجمعة مستحبَّة كل أسبوع؛ وذلك لارتباط هذه الصورة بفتن الدَّجَّال من فتنة

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الحج، ب: حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (١٢١٨).
(٢) أخرجه الترمذي: أبواب العلم، ب: ما جاء في الأخذ بالسنة، ح (٢٦٧٦)، وقال هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود: ك: شرح السنة، ب: في لزوم السنة، ح (٤٦٠٧).
(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٣٠٣).

الدِّين، والمال، والعلم، والسلطان، واحتوت السورة على أربع قصص: فتنة أهل الكتاب، وصاحب الجنتين، وموسى والخضر، وذي القرنين، وفي كل قصة يبيِّن المولى سبحانه وتعالى المخرج والعلاج].

٢ـ **العدل**: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، أي عُدولًا، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[النساء: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة: ٨].

• أمة العدل: بلا إفراط ولا تفريط، فلا غُلُوَّ كما غَلَتِ النصارى، ولا تفريطَ كما فرَّط اليهود، ولا رهبانية ولا مادية .

والغُلُوُّ: هو ما وقعت فيه الخوارج والشيعة وسائر الفرق، **والتفريط**: هو ما وقعت فيه الصوفية والطرق.

• ومن العدل أن يكون الولاء لله ولرسوله وللذين آمنوا، لا للفكر الحزبي أو الجماعة أو القبيلة.

• ومن العدل: التثبُّت والرَّوِيَّة وعدم التسرُّع في إصدار الأحكام، وخاصة عند وقوع الفتنة، وكثرة الشائعات المهيِّجة لها.

• ومن العدل: أن نلتزم بالأحسن من القول، كما قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾[الإسراء].

فالكلام ينقسم إلى أربعة أقسام: إما فاحش أو أفحش، أو حسن أو أحسن، والله

سبحانه قد ندبنا إلى القسم الرابع وهو الأحسن، وتذييل الأمر بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يكاد يكون تعليلًا لما سبق؛ مما يُشِيرُ إلى أن كلامنا إذا نزل عن هذا المستوى الرفيع (الكلام الأحسن) فذلك يُعطي الشيطان فرصة للنزغ أو التحريش بيننا، وانظر إلى حال أكثر الخلق إذ يبقى كلامهم بين القبيح والأقبح، والفاحش والأفحش، والمباح، ونادرًا ما يرتقي لدرجة الحسن، مع أن الكلام الحسن يمكن للشيطان أن ينزغ بين أهله ما لم يرتقوا إلى الكلام الأحسن.

• وهذه الآية تبرز لنا خطورة اللسان، وضرورة الارتقاء إلى الكلام الأحسن، وهو الكلام الذي يؤلِّف ويجمع القلوب على توحيد الله، ويوجِّهُها من التطلُّع إلى حطام الدنيا إلى التنافس على عظيم الجزاء في الآخرة، وما أصعبَه من مقام!

٣ـ الصبر واليقين: قال الله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[السجدة].

بالصبر واليقين يقينا الله تعالى بريق الشَّهَوات، وظلمة الشُّبُهات، وبالصبر ندفع الشَّهَوات، وباليقين نصدُّ الشُّبُهات، فبهما الخلاص والنجاة بإذن الله من حمأة الفتن ولهيبها، وهما مناط العزة والولاية والنصر في الأرض.

فعلى المسلم أن ينتبه لهذا العلاج، ويعزِّز معانيه وروافده في قلبه، ويستعين بالوسائل العلمية والروحيَّة المغذية والممكنة له في حياته.

وفتنة الشَّهَوات: كفتن النساء والأموال السلطان وقيدها الصبر.

وفتنة الشُّبُهات: كفتنة الدماء والفتن المبنية على تزيين الشيطان للمنكر والباطل، أو تقبيح صورة الحقِّ وتشويهه، وقيدها اليقين.

وتبلغ فتن الشَّهَوات والشُّبُهات ذورتها في عهد الدَّجَّال، فالقرى التي لا تتبعه تحاصَر اقتصاديًا وتصبح قحطًا، والذين يؤمنون به يرتعون في حطام الدنيا، وهنا يأتي دور الصبر، وفي عهد الدَّجَّال يعتمد على الشُّبُهات والسحر بأعلى الدرجات فبأمره ينزل المطر، ويقتل مسلمًا ثم يحييه ولا يقدر عليه ثانية، إلى غير ذلك من الشُّبُهات التي يستدرج الناس بها، وهذه قيدها الثبات واليقين (كالرجل الذي قتله ثم أحياه فيقول له: ما ازددت فيه إلا بصيرة ويقينًا، فأنت الدَّجَّالُ عدوُّ الله، فلم يسلط عليه.

٤ـ الترخُّص في العزلة زمن الفتن، وتجنُّب الحرام، والإكثار من العبادة، ولزوم البيت:

وقد سبقت الأحاديث الدالة على ذلك من أن خير مال المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال، يفرُّ بدينه من الفتن، وأن العبادة في الهَرْج كهجرة إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والبيوت حِرز من الفتن، ولْيَسَعْكَ بيتُكَ، وابْكِ على خطيئتك.

٥ـ كفُّ اليد في الفتنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ }**(١).

عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عِنْدَ فِتْنَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي }** قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ

(١) أخرجه أحمد، ح (٩٦٩١)، وأبو داود: ك: الفتن والملاحم، ب: ذكر الفتن ودلائلها، ح (٤٢٤٩)، قال العدوي: صحيح الإسناد [المسند الصحيح (٢٧٢)].

دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي وَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ لِيَقْتُلَنِي؟ قَالَ: { كُنْ كَابْنِ آدَمَ }(١).

• فقد علَّق الحديث الأول الفلاح على كفِّ اليد في الفتنة، وبيَّن الحديث الثاني أن لو يلقَى ربَّه مقتولًا خير من أن يلقاه قاتلًا، إلا دفع الصائل؛ فإن الشريعة أجازت حال الصِّيال عليه أو على ماله أو علَى عرضه بأن يدفع عن نفسه حتى لو أدى ذلك إلى قتل الصائل، وهذا الحكم لا ينطبق على الصِّيال على النفس في الفتنة، حيث دلَّت كثير من النصوص الشرعية أن الأفضل للمسلم أن يكفَّ يده عن أخيه المسلم ويكون كخَيْرَي ابن آدم، ولْيلقَ الله مقتولًا لا قاتلًا.

(١) أخرجه أحمد، ح (١٦٠٩)، والترمذي في الفتن، ح (٢١٩٤) وقال عنه: حديث حسن، وقال العدوي: إسناده صحيح (المسند الصحيح ٢٧٣).